

مختصر معجم
مَعَالِم مَكَّة التَّارِيخِيَّة
عائِق بن غيث البَلادي

أجـيـاد:

كأنه: جمع جواد، والناس تقول (جِيَاد)، كان الإسم يطلق على شعابين كبيرين من شعاب مكة، يأتي أحدهما من الجنوب، يقاسم حُمًا الماء فيتيجه شمالاً، والآخر يأتي من الشرق من جبل الأعراف، ثم يجتمعان أمام المسجد الحرام من الجنوب فيدفعان في وادي إبراهيم. وقد أصبحا اليوم مأهولين بأحياء عديدة من أحياء مكة، أشهرها: حي جِيَاد، والمصافي، وبئر بليلة. ومن جِيَاد الكبير طريق يفرع ريع بَخَش - رأس جِيَاد - ثم ينحدر في (خُم) فيألى بسطحاء قُرَيْش فَشَوْر جنوباً. قال ميمون بن قيس (الأعشى)^(١):

فما أنت من أهل الحُجُون ولا الصِّفا ولا لك حقُّ الشربِ من ماءٍ زَمَزَم
وما جعل الرَّحْمَنُ بيتك في العُلا بأجِيَادِ غربيِّ الصِّفا والمَحْرَم

وقال عمر بن أبي ربيعة^(٢):

هيهات من أمة الوهَّاب مَنْزِلُنَا^(٣) لما نزلنا بسيفِ البحر من عَدَنٍ
وحلَّ أهلك أجياداً فليس لنا إلا التَّذْكَرُ، أو حَظٌّ من الحَزَنِ
وله ذكر كثير في كتب المتقدمين وأشعارهم.

وقال بشر بن أبي خازم^(٤):

حلفتُ بربِّ الداميات نُحورها وما ضَمَّ أجيادُ المُصلَّى ومَذهبُ
لئن شبت الحربُ العوانُ التي أرى وقد طال إبعادُ بها وتُرهبُ
لتحتملنَّ بالليل منكم ظعينةً إلى غير موثوق من العِزِّ تهربُ
وقال أبو بكر العبدي العدني الوزير^(٥):

يا مُحَيًّا نُورَ الصَّباحِ البادي ونسيمَ الرِّياحِ غِبِّ الغوادي
حَيِّ أَحبابنا بمكة ما بي من نواحي الصَّفا وبين جِياذِ
أما أجياد الصغير فيأتي من الشرق، وكان حيًّا كالمسدود في سنة ١٤٠٤ هـ
فتح منه نفق إلى حي العزيزية تحت جبل الأعراف، وجعلت فيه طريق مختصرة
لمشاة الحجاج، فصار مرفقاً مفيداً، وقصر الطريق على سكان حي العزيزية،
ومنتسبي جامعة أم القرى إلى أقل من ثلث الطريق القديم المار في الأبطح.

الأخشبان:

مثنى الأخشب وهو الجبل الخشن وعر المرقى.

قال الشريف الرضي^(٦):

أحِبُّكَ ما أقام مِنِّي وجَمْعُ وما أرسى بمكة أخشباها
وما دَفَعَ الحجيجَ إلى المُصلَّى يجرّون المَطِيَّ على وجاها
وما نحروا بخيفِ مِنِّي وكَبُّوا على الأذقان مُشعرة ذُراها



وقال ساعدة بن جُوَيَّة الهذلي (٧):

ومقامهنَّ إذا حُبِسْنَ بمأزِمٍ ضَيِّقِ أَلْفٍ وَصَدَّهِنَّ الْأَخْشَبُ
وأكثر الأقدمون من القول عن الأَخْشَبِينَ، وكادوا يتفقون على أنها: أبو
قُبَيْس وقُعَيْقَعَان، أما أبو قُبَيْس - بضم القاف - فهو من أشهر جبال مكة بل
أشهرها على الإطلاق، وهو الجبل المشرف إشرافاً مباشراً على المسجد الحرام
من مطلع الشمس، ولذا يقول أهل مكة: الواقف على أبي قُبَيْس يرى الطائف!
وسياتي ذكر «قعيقعان» في بابهِ. أما أهل البادية فيطلقون على الجبلين المشرفين
على المزدلفة من الشرق «الأخشبين» ويسمّون الطريق بينهما «المأزمين». وقد
يطلق اسم الأخشبين على جبلي منى فيميزان بأخشي منى، وكان الشامي منها
يسمى القابل، وهو وجه ثبير غيناء من الجنوب، وثير غيناء سياتي معناه، وكان
يسمى ثبير الأثرية أي كبيرها، أما جبل منى اليماني فكان يسمى الصابح،
وسفحه الشمالي الشرقي يسمى «خيف منى» وله شهرة في أشعار العرب، يقول
الشريف الرضي:

نظرتُكَ نظرةً بِالْخَيْفِ كَانَتْ جِلاءَ العَيْنِ أَوْ كَانَتْ قَدَاها (٨)

ولم يكُ غير مَوْقِفِنَا فَطَارَتْ بِكُلِّ قَبِيلَةٍ مَنَا نَوَاهَا

وعلى كلِّ حال فكل هذه الأَجْبُلُ أخشب، ولذا يكون أبو قُبَيْس
وقعيقعان: أخشي مكة، والقابل والصابح: أخشي منى، والمأزمان: أخشي
مزدلفة.

أَدَاخِرُ:

كجمع أذخر. جمع قلة. وهو نبات معروف.

قال بلال بن رباح رضي الله عنه:

ألا ليت شعري هل أبیتنَّ ليلةً بفتحٍ وحولي أذخر وجليلٌ؟
وهل أردن يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُون لي شامةً وطفيلٌ؟
في هذا الشعر:

أ- فُحٌّ: بفتح الفاء وتشديد الحاء المعجمة. هو وادي مكة الثاني، وقد أُلحنا إليه فيما تقدّم. وهذا الوادي يدخل بين حراء ومكة، فيمر في الزاهر ويذهب إلى الحديبية ثم يصب في مر الظهران فوق حداء.

ب- أَذْخُرُ: هو جبل أذخر. وقال: أذخر ليستقيم له وزن الشعر. وليس كما فسره بعض المتأدبين بأن بلائاً كان يجب شميم الأذخر بل كان يجب مكة: شعابها وجبالها وضواحيها، كما هو ظاهر من شعره.

وأذخر هذا: هو الجبل الذي يشرف على الأبطح من الشمال يتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف منذ القدم بثنية أذخر، قال الأزرق في أخبار مكة (٢: ٢٨٩) ثنية أذخر: الثنية التي تشرف على حائط خُرمان، ومن ثنية أذخر دخل النبي (ﷺ) يوم فتح مكة، وقبر عبد الله بن عمر بأصلها مما يلي مكة. أي في مقبرة آل عبد الله بن أسيد. وحائط خرمان: يعرف اليوم بالخرمانية. بصدر مكة. صار رحبة تقف بها سيارات الكراء. ويشرف عليه من مطلع الشمس (قرن غراب) وسيأتي مستقبلاً، وقد عمر اليوم جله كمقر لأمانة العاصمة.

وحكى لي الأخ الاستاذ داخل المسعودي: أنهم اكتشفوا مقبرة بطرف الخرمانية كان الدم ينزف من أحد قبورها، فترجح لديهم أنها المقبرة المشار إليها، فاحيطت بجدار، وهي الآن بطرف بناية أمانة العاصمة مما يلي أذخر.

ج- جَلِيلٌ: بفتح أوله وثانيه: شعب يصب من حراء في صدر فح. وقد أصبح حياً من أحياء مكة جل سكانه من الروقة من عتبية.



الأقحوانة:

على لفظ واحدة النبات المعروف:

كان يطلق هذا الاسم على ما بين المنحنى والمفجر الأوسط، أو بتحديد أوضح ما كان يعرف بالمحصب، وهو صدر وادي إبراهيم الذي يصب فيه سيل عقبة منى.

قيل: إن أهل مكة كانوا يخرجون إليه متنزهين في ثياب زاهية مختلفة الألوان شبهت بزهر الأقحوان. وتشمل الأقحوانة اليوم أحياء: الروضة والششة وما جاورهما.

قال الحارث بن خالد المخزومي:

من كان يسأل عنا: أين منزلنا؟
فالأقحوانة منا منزل قمن
إذ نلبس العيش غصاً لا يكدره
قرف الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

بئر ميمون:

قال شاعر لم أعثر على اسمه^(٩):

تأمل خليلي هل ترى قصر صالح
وهل تعرف الأطلال من شعب واضح
إلى بئر ميمون إلى العيرة التي
بها ازدحم الحجاج بين الأباطح
في هذا الشعر: بئر ميمون: بئر حفرها ميمون أخو العلاء الحضرمي والي
البحرين. عندها قبر أبي جعفر المنصور فيما يسمى اليوم بحي الجعفرية بين أذاخر
والحجون. والعيرة كمونث العير: هو الجبل الذي عليه المنحنى بالمعابدة - بالباء
الموحدة - أي بين حي الملاوي وحي الروضة.

والأباطح: أبطح مكة، والجمع من عادة شعراء العرب.

هذا ما جاء في معجم معالم مكة بطبعته الأولى والثانية.

- وعندما حددت بئر ميمون هذا التحديد اعتمدت على:
- ١- ورود ذكرها في يوم الفتح؛ حيث دخل رسول الله (ﷺ) من أذاخر، وأنه استقى من بئر ميمون.
 - ٢- وجود هذا الحي بجوار أذاخر يسمى الجعفرية، ولم أر من نسبه فترجح عندي أنه نسبة إلى أبي جعفر المنصور.
 - ٣- ما جاء في تأريخ الفاكهي: أن أبا جعفر حين مات هنا صلي عليه في المسجد الصغير المجاور للخرمانية، وهذا يعني أنه مات قريب منه، أي أن بئر ميمون مقترنة بهذه المواضع كلها.
- ولكن الشريف شاكر بن هزاع العبدي قائم مقام مكة أوقفني بعد حج عام ١٤١٢ هـ على بئر قديمة شرقي قصر أمانة مكة، على يمين الطريق الذهاب إلى الشرائع فالطائف عن طريق نخلة اليمانية، فقال: هذه بئر ميمون، وأراني حجرة قريها، قال: هذا قبر أبي جعفر المنصور.
- ومع اعترافي بخبرة الشريف شاكر في جغرافية مكة، إلا أن هناك تساؤلاً، إذا كانت هذه بئر ميمون على بُعدها من أذاخر، وهو بعد معاكس لاتجاه المسجد الحرام للآتي من أذاخر، فما علاقتها برسول الله (ﷺ) يوم الفتح؟ ثم إذا كان أبو جعفر مات في هذا المكان، لم حمل إلى هذا المسجد الصغير على بعد، ثم أعيد بعد الصلاة عليه إلى بئر ميمون؟ فإذا كان المقصود دفنه حيث مات أصلي عليه هناك، وإذا كان المقصود التيمن بالمسجد، فالذين حملوه لم يبق بينهم وبين المسجد الحرام ما يعجزهم عن المواصلة، ثم لم لم يدفن عند المسجد الذي صلي عليه فيه، وليست لبئر ميمون قدسية أو ميزة؟ ثم إن مقبرة أهل مكة كانت قريبة جداً من ذلك المسجد، فلم لم يدفن هذا الخليفة في المقبرة؟ ولأنها كما قيل كانت قد اتسعت إلى حي الجعفرية اليوم، فلعله دفن في طرف المقبرة مما يلي أذاخر، ثم إن هذا الحيز



من المقبرة توقف الدفن فيه بعد إنشاء المقبرة السلمانية، فدفع الطمع بعض الناس إلى الاستيلاء على الأماكن المندثرة، فسارع الولاة إلى تسوير المقبرة القديمة، ثم أخذ ذلك الجانب اسم الجعفرية؛ لعلم الناس أن أبا جعفر مدفون فيه. وعلى كل حال فع عدم جزمي بأحد المكانين، فإن رأبي لم يتغير، واستنتاجي أجد له قوة، والبحث مفتوح لمن يدقق ويحقق.

وأقول: إني ختمت البحث بهذا القول دون أن تكون لدي النيّة أن أزيد فيه، ولكن تصفحت كتاب الفاكهي المطبوع قبل سنوات، فإذا فيه ما يأتي:

٢٤٨٢ - حدّثنا أبو يحيى عبد الله بن أحمد بن أبي مسرّة، قال: حدّثني محمد بن عبيدة الشؤيفعي، قال: حدّثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي صالح، مولى عبد الله بن عامر، قال: توفّي أبو جعفر يوم التروية سنة ثمان وخمسين ومائة، وصُلّي عليه عند الخُطيم^(١٠) في مسجدٍ هناك، وضربَ على المقبرة - يعني مقبرة مكة - سرادق، ثم أُتِيَ بنعشه، فأدخل في السرادق، فلما فرغ من دفنه، ورجع الناس، ورُفِع السرادق، وإذا بقبرين، واحد في أعلى المقبرة، وواحد في أسفلها، مما يلي المسجد، ثمّ بنى عليهما جُنُودان.

قال لي أبو يحيى: أدركت أحد الجُنُودين أنا. قال: ثم حجّ المهدي بعد ذلك؛ فرأيته جاء إلى الجُنُود الأعلى في المقبرة، فوقف على ذلك القبر، والناس خلفه فصلّى عليه.

وفي وجه شِعْبِ الخُوز دارٌ لبابة بنتِ علي، ومحمد بن سليمان بن علي. وفي هذه الدار كان يسكن عبيدُ الله بن قُثم، وهو يومئذٍ والي مكة مع زوجته لبابة بنت علي، وفيها رأى الرؤيا التي أفرعته.

٢٤٨٣ - حدّثنا أبو يحيى عبد الله بن أحمد، قال: ثنا خالد بن سالم مولى ابن صيفي المكي، قال: أخبرني إبراهيم بن سعيد بن صيفي المخزومي، وكان صديقاً

لعبيد الله بن قثم، قال: أرسل إليّ عبید الله بن قثم وهو أمير مكة نصف النهار، وكان نازلاً ببئر ميمون، في دار لبابة بنت علي، زوجته.
وترى في رواية الفاكهي: توفي أبو جعفر وصلي عليه عند الخطم، ودفن في مقبرة أهل مكة، وقد اقترن موته فيما تقدم ببئر ميمون، ثم ترى أن بئر ميمون عند شعب الخوزأي حيث يدفع في الوادي، وهكذا تحفر الآبار، وأنه دفن في الجهة الشرقية حيث الجعفرية اليوم، وهذا شاهد بل هناك عدد من الشواهد على أن بئر ميمون كانت في حيز ما بين البياضية ومقبرة مكة.

البطحاء:

بفتح الباء وسكون الطاء: اسم مألوف - لدى العرب - لكل أرض في مسيل السيل: قال حذافة العدوي يمدح بني هاشم^(١١):
هُم مَلَأُوا البطحاء مَجْدًا وَسُودَدًا وهم تركوا رأي السَّفَاهة والهجر
وقيل: جاء هشام بن عبد الملك يطوف بالبيت فيقترب من الحجر الأسود فلا يفسح له أحد، فبينما هو كذلك فإذا بعلي زين العابدين بن الحسين (عليه السلام) يطوف بالبيت، فإذا اقترب من الحجر انجفل الناس عنه وتركوه له، فاغتاظ هشام لذلك فسأله أحد مرافقيه: من هذا؟ فقال: لا أعرفه. وكان الفرزدق حاضراً فاغتاظ لذلك فأنشأ قصيدة منها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي التقي الطاهر العلم
وليس قولك: لا أعرف بضائره العرْبُ تعرف من أنكرت والعجم

وكان الفرزدق في حاشية هشام، ولكن الأمويين ما كانوا يقرّبونه؛ لكثرة افتخاره بكرم أبيه وإطرائه بني هاشم، فغضب هشام فسجن الفرزدق بعُسفان.



ثمّ اطّلت على أقوال في قصيدة الفرزدق هذه، فبحثتها في كتابي أمثال الشعر العربي، قافية الميم المضمومة، فاذا شئت فراجعه.
وكانت في صغرنا بطحاء. أما اليوم فهي شارع معبد وأرصفة، وكان أهل مكة يعرفون أن البطحاء بين مهبط ريع الحجون والمسجد الحرام، فإذا تجاوزت ريع الحجون مشرقاً فهو الأبطح إلى المنحنى عند بئر الشّيبني.
ويطلق عليها المعلاة، أما ما بعد المسجد جنوباً بغرب فهو المسفلة إلى قوز المكّاسة. وقوز المكّاسة: دعص رمل أسفل من كُدَيّ، كان يسمى «الرّمضة».
وكان لقريش اعتزاز بالبطحاء، فالسيد العنديد يسمى (سداد البطحاء)، وقريش مكة يسمون قريش البطاح، تمييزاً لهم عن قريش الطواهر أي ظاهر البادية.

بَلَدَح:

بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الدال المهملة وآخره حاء مهملة أيضاً.

قال ابن قيس الرُّقَيَّات (١٢):

فَمِنِّي فَالْجِمَارُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُقْفَرَاتٍ، فَبَلَدَحُ فَحِرَاءُ
وَقَالُوا: لِمَا قَتَلَ الْحُسَيْنَ صَاحِبَ فَحٍّ سَمِعَ عَلَى مِيَاهِ غَطْفَانَ كُلَّهَا تَفْ يَقُولُ:
أَلَا يَا لِقَوْمِ لِلسَّوَادِ الْمَصْبَحِ وَمَقْتَلِ أَوْلَادِ النَّبِيِّ بِبَلَدَحِ
لَيْتَكَ حُسَيْنًا كُلُّ كَهْلٍ وَأَمْرِدٍ مِنْ الْجَنِّ، إِنْ لَمْ تَبِكْ لِلْإِنْسِ نُوحِ
وبلدح: هو وادي مكة الثاني، الذي تقع فيه مقبرة الشهداء وأمّ الدود (أمّ الجود). وسماه الأزرقى وادي مكة.

وقال: إن وادي بكّة هو الذي يمرّ بالبيت (وادي إبراهيم)، وكان بلدح في

عهد الأزرقى لكل جزع منه اسم: فبقرب حراء يسمى مكة السُّدر، وعند الشهداء يسمى فحاً. ويظهر أن اسم بلدح - من قديم - لا يطلق إلا على ما تجاوز الزاهر إلى الحديبية (الشميسي)، وهناك أقوال وتعريفات تركت للاختصار، راجعها في المعجم (١٣).

والحسين المقتول بفخ، الذي صار يسمى صاحب فخ: هو الحسين بن علي بن الحسن بن عمّ موسى الكاظم (عليه السلام)، خرج على الدولة العباسية سنة ١٦٩ هـ فقتله والي مكة، بعد معركة دامية في المكان المعروف - اليوم - بالشهداء، فسمي هذا الحي الشهداء من يومها، أي مقبرة الشهداء. ولتلك الموقعة أخبار مطوّلة سنأتي عليها عند ذكر فخ إن شاء الله.

وقد نقل بعض المؤرخين: أن عبد الله بن عمر دفن في هذا الموضع، وهذا وهم، فعبد الله بن عمر دفن بمقبرة بني عبد الله بن أسيد في أذاخر. وقد تقدّم الحديث عنها في «أذاخر».

التنضباوي:

جزء كبير من وادي ذي طوى: وادٍ كبير يسيل من الطرف الغربي لجبل أذاخر وشمال جبل (قُعَيْقَعَان)، فيسمى أعلاه اللصوص نسبة إلى ريع في رأسه يسمى ريع اللصوص، سمي الآن ريع السد، نسبة إلى سدّ فخ القريب منه. ثم يسمى العتيبية إذا صار بين الحجون والكحل (الثنية الخضراء) وعند بئر طوى يسمى جرول.

فاذا تجاوز الطرف الغربي لجبل الكعبة سمي التنضباوي؛ والاسم الذي يكتب في الدوائر اسم غريب لم أر له اشتقاقاً أو نسبة هو الطندباوي، وهذا خطأ واضح، والاسم الصحيح هو (التنضباوي) نسبة إلى أشجار التنضب التي لحقنا



نحن بعضها عندما كانت تبني تحتها أكواخ التكاثر، وسألت بعض شيوخ قبيلة المجانين عن اسم هذا الوادي، فقال: كله وادي طوى.
وسألته عما كان ينبت في هذا الجزء من الوادي؛
فتبسّم وقال: ما لحقنا فيه غير التنضب.
وسماه الأزرقى - في هذا الموضع - (الليط). ثم يجتمع وادي طوى بوادي إبراهيم تحت جبل (ثبير الزنج) جبل المسفلة من الجنوب الغربي، فيكون أكبر روافد وادي إبراهيم.
وكانت هناك لوحة كتب عليها الطنبدأوي، وقال بعض العامة:
الطنطباوي، إلى آخر التحريفات.

التنعيم:

وادي ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقاً وجبل الشّهد جنوباً فيصب في وادي ياج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكيين، وتسمى عمرته: عمرة التنعيم، أي مكان الاعتمار، وذلك تمييزاً لها عن عمرة الجعرانة، وكان يسمى نعمان، قال محمد بن عبد الله الثميري:

فلم تر عيني مثل سرب رأيتُهُ	خرجنَ من التنعيم معتمرات
مررنَ بفتحٍ ثم رُحنَ عشية	يلبين للرحمن مؤتجرات
فأصبح ما بين الأراك وحدوه	إلى الجذع جذع النخل والعمرات
له أرَجٌ بالعنبر الغض فاغم	تطلعَ رِيَّاه من الكفرات
تضوع مسكاً بطنُ نَعْمَانِ إذ مشت	به زينبُ في نسوة عطرات

وقد توهم بعضُ أن نعمان الوارد هنا هو نعمان الأراك، وهذا خطأ، إذ إن من يعتمر قاصداً المسجد الحرام ليس قريباً من نعمان الأراك.

وقد أصبح التنعيم اليوم حياً جميلاً من أحياء مكة. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمر عائشة أخته من التنعيم، ومن ذلك اليوم اتخذ أهل مكة عمرة، وهو أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام، فهو يقع على قرابة ستة أكبال شمالاً من المسجد الحرام على طريق المدينة.

وقد فسّر بعض الأدباء شعر النميري: أنه على 'نعمان الأراك، لورود اسم نعمان، وذكر الأراك في هذا الطريق، وليس لهم ذلك، ففي هذا الشعر: ذكر العمرة من التنعيم، ثم هبوط النسوة فحاً بعد ذلك، متجهات إلى المسجد الحرام (موتجرات).

ثَبِير:

بفتح الثاء المثلثة، وكسر الباء:

قال عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو الملقب بالعرجي نسبة إلى عرج الطائف (١٤):

وما أنس مِ الأشياءِ لا أنس موقفاً لنا ولها بالسَّفحِ دون ثَبِيرِ
ولا قولها وهناً وقد سَمَحَتْ لنا سوابقُ دمعٍ لا تجفَّ غَزِيرِ:
أأنتَ الذي خَبِرْتَ أنكِ باكرِ غداةَ غدٍ أو رائجٍ بهَجِيرِ؟
ويقول الحارث بن خالد المخزومي:

إلى طرف الجَمَارِ وما يليها إلى ذات القَتَادَةِ من ثَبِيرِ
قلت: معظم جبال مكة الكبار كانت تسمى الأثيرة جمع ثبير فمنها: ثبير غَيناء وهو أشمخ هذه الأثيرة، وهو الذي تسميه عامة أهل مكة اليوم جبل الرَّحْمِ ذلك أن على رأسه غر الطير لا يفارقه، وكان يسمى - أيضاً - ثبير الأثيرة، أي كبيرها. وكان يسمى في الجاهلية سَمِيرًا ثم سُمِّيَ صَفْرًا، وكان يقال لقمته ذات



القتادة، وهو المقابل لجبل النور (حراء) من الجنوب، والمشرف على منى من الشمال، ويسمى منته الشمالي الشرقي «ثَقَبَة» بثلاث فتحات. وكان الجاهليون لا يفيضون من مزدلفة حتى تشرق الشمس على رأسه. ولذلك يقولون: أشرق ثبير كما نغير.

الأثرية:

جمع ثبير بفتح الثاء وكسر الباء الموحدة: اسم يطلق على عدد من جبال مكة منها ثبير غَيناء - كما تقدم - وهو أضخم جبال مكة، يشرف على الأبطح من الشرق، ويشرف على منى من الشمال، ويقابل حراء من الجنوب، وتعرفه العامة اليوم بجبل الرخم - كما تقدم أيضاً -.

وثبير الزنج: جبل المسفلة الذي يشرف عليها من الغرب، ومنه جبل عَمْر وجبل الشراشف وجبل الناقة وغيرها.

أجزاء من الجبل يسمى كل منها جبلاً، وهي من عادات العرب في التسمية.

وثبير الخضراء: الجبل الذي يتصل بالحنادم من الشرق، يناوح ثبير غَيناء من الغرب الجنوبي، يمتد جنوباً إلى جبل سُدير، وغرباً إلى جبل السبع بنات، ومنه تشاهد جبل ثور جنوباً عدلاً.

وثبير النَّضع: جبل المزدلفة. وغيرها.

قال الفضل بن العباس اللّهي نسبةً إلى أبي لهب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) (١٥):

هيهات منك قَعِيقَانُ وَبَلْدَحُ فجنوب أثيرة فبطن عَسَاب
فالهواتان فكَبْكَبُ فجتاوب فالبعوض فالأفراع من أشقَاب

قوله: فبطن عساب، لعل صوابه (فبطن كساب)؛ لأن كساباً جبل لا زال معروفاً في طرف وادي ملكان، وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:
حي المنازل قد عمرنا خراباً بين الجري وبين ركن كساباً^(١٦)
أما عساب - أوله عين - فلم أجد من يعرفه.

وثبير الأحدب: وهذا هو الطرف الشمالي من ثبير النصح، يقع بين جبل ثقبه وجبل الطارقي شمال مُزدلفة، ولا تتصل حدودها به، ومنه يسيل وادي أفاعية الذي يمر بين ثبير غيناء وبين حراء، وكان يُكوّن صدر وادي إبراهيم، فكان سيله يضر بالمسجد الحرام؛ لأنه يسيل من جبال شواخ، فلما بني (العدل) حوّل ماء أفاعيه إلى مكة السدر «الصفيراء اليوم» فصار يذهب إلى فخّ فبلدح. وثبير النصح: وهذا هو الجبل الضخم الذي يشرف على مزدلفة من الشمال والشرق، ويعرف باسم جبل المزدلفة، يفصل بينه وبين المأزمين ريع يسمى رقع المرار.

وثبير الزنج: ويقول الأزرقى انه سمي بذلك، لأن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه، ويلعبون عنده، وهو المعروف - اليوم - بجبل المسفلة، وله أسماء عديدة منها: جبل عمّر، يطلق على القسم المشرف على الشبيكة، يأخذه ريع الحفاير، وجبل الناقة يجاور جبل عمّر من الجنوب الشرقي، والناقة: حصة هناك تشبه الحمل. يجاور ذلك جبل الشراشف، وفي الجنوب الغربي يسمى جبل التوبة، ولعل هذا له صلة باسم الزنج، ويسمى غربه جبل الحفائر، والحفائر كانت تسمى في عهد الأزرقى «المادر»، أي حيث يستخرج المدر: وهو الطين الذي كانوا يبنون به، وهي - اليوم - حي من أحياء مكة، وثبير الخضراء هو الجبل ذو القلة الذي يشرف على الأقحوانة من الجنوب، ويمتد غرباً بجنوب فيتصل بالحنادم، ويمتد جنوباً فيتصل بجبل سدير، كما تقدم.



وتَبِيرِ ثُورٍ: وهو يتلو هذا.
وتجدر الإشارة إلى أنه لا يعرف - اليوم - اسم تبير بل أن كثيراً من جبال مكة لا تعرف لها أسماء.

ثُور:

بلفظ ثور البقر جبل يقع جنوب مكة: يرى من المزدلفة ومن المسفلة، وقد تقدم أيضاً أنه أحد أثيرة مكة. قال أبو طالب عمُّ النبي (ﷺ) (١٧):
أعوذُ برَبِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ علينا بشرٌ، أو مُخلَقٍ باطلٍ
ومن كاشِحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ ومن مُفتَرٍ في الدينِ ما لم يحاولِ
وثُورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه وعيرٍ وراقٍ في جِراءٍ ونازلِ
وهذا الشعر يدل على أن ثوراً كان معروفاً في مكة. ومنذ أن لجأ إليه رسول الله (ﷺ) عند بدء الهجرة أصبح هذا الجبل مقدساً يزوره المسلمون للذكرى، ويدخله بعضهم تيمناً.
وجاء في سبب تسميته أطحل على وزن أفعل من الطُّحلة وهي لون معروف (١٨).

قال المتقدمون: إنه اسم الجبل المعروف اليوم باسم ثور، وإن اسم ثور هو ابن عبد مناة بن أد بن طابخة، فنسب ثور هذا إلى الجبل أطحل فقبل: ثور أطحل. وإليه ينسب الفقيه المحدث سفيان بن سعد الثوري. وليس إلى ثور قضاة.

قال البعيث الشاعر:

وجئنا بأسلاب الملوِكِ وأحرزتُ أسَتَّتْنا مَجْدَ الأسنَّةِ والأكلِ
وجئنا بعمرٍو بعدما حلَّ سربها محلَّ الذليلِ خلف أطحلٍ أو عكَلِ

ويعرف هذا الجبل - اليوم وفي التاريخ الإسلامي - بجبل ثور، وفيه غار ثور الذي أوى إليه محمد (ﷺ) ورفيقه في بدء الهجرة إلى المدينة.

وقد تناقل الناس - إلى اليوم - تحديداً خاطئاً لجبل ثور، فنجد في مقررات المدارس أنه جبل بأسفل مكة. وهذا خطأ، فالجبل يقع جنوباً عدلاً من مكة أي جنوب المسجد الحرام، ولكن الطريق إليه كانت من المسفلة، ثم من ربيع كُدَيٍّ وهما أسفل مكة، فظن زائروه أنه أسفل مكة. أما اليوم فيمكن الذهاب إليه من أجياد مباشرة بعد أن شُقَّ ربيعٌ هناك سَمَّى ربيعَ بَحْشٍ.

والناس يزورون الغار المقدس هناك، وهم خرافة تقول: إن من يتعسر خروجه منه فهو لغير أبيه، ولا أدري من أول من أطلق هذه الخرافة؟ غير أننا لم نر سميماً استطاع دخوله كما لم نر نحيفاً تعسر خروجه منه. والإسلام لا يجيز مثل هذه الإشاعات، واختراع الخزعبلات.

وشهرة غار ثور في مكة تغني عن تحديده، وأنت تراه من حيث أتيت مكة بارزاً يشبه شكله شكل ثور مستقبل الجنوب، ولعل لشكله علاقة باسمه.

الجزل:

بفتح الجيم وسكون الزاي..

قال عمر بن أبي ربيعة (١٩):

ولقد قلت ليلة (الجزل) لما أخضلت ريطتي عليّ السماء

ليت شعري وهل يردنّ (ليت) هل لهذا عند (الرباب) جزاء؟

وقال السباعي في تاريخ مكة: جزل - بكسر أوله وتشديد ثانيه - نسب

إلى طائفة من الجنود كانت تلعب فيه.

وأقول: شعر عمر يدل على أن المكان كان معروفاً قبل أن تعرف مكة



الجنود. ووصف هذا الجبل ينطبق على الجبل المعروف بجبل خليفة. وهو المقابل للمسجد الحرام من الجنوب على يمين الداخل في أجياد الكبير، فوقه قلعة بناها الشريف سرور أحد ولاة مكة في العهد العثماني. وهذا الجبل شق تحت نفق سنة ١٤٠٦ هـ يوصل بين سفلة مكة وحي جياذ الكبير.

الجِعْرَانَةُ:

بكسر أوله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتفق اللغويون على ضبطها. وأهل مكة اليوم ينطقونها بضم الجيم. قال أحدهم (٢٠):

فيا ليت بالجعرانة، اليوم، دارها وداري ما بين الشام فككب
فكنت أراها في الملبين ساعة بطن مني ترمي جمار المحصّب
ويقصد الشاعر أن تكون داره شمال ككب، لأن الجعرانة هناك. ولعل صواب قوله: ما بين الشام فككب يكون (ما بين الستار وككب)؛ ذلك أن جبل الستار يقع قرب الجعرانة من الجنوب، وهو الجبل الذي يشرف على علمي طريق نجد من الشمال، والذاهب من مكة إلى نخلة يجعل الستار على يساره عن قرب.

والجعرانة اليوم: قرية صغيرة في صدر وادي سرف، فيها مسجد يعتمر منه أهل مكة المكرمة، ولها مركز إمارة، وتربطها بمكة طريق معبدة، وفيها زراعة قليلة. وكان النبي (ﷺ) اعتمر منها بعد غزوة الطائف، خرج منها ليلاً وعاد من ليلته.

جَمْعُ:

ضد التفرق.

قال ابن هرمة (٢١):

سَلَا الْقَلْبُ إِلَّا مَنْ تَذَكَّرَ لَيْلَةً
وَمَجَلَسَ أَبْكَارٍ كَأَنَّ عَيْونَهَا
وَقَالَ آخِرُ:
بِجَمْعٍ وَأُخْرَى أَسَعَفَتْ بِالْمَحْصَبِ
عَيْونُ الْمَهَا أَنْضِينَ قُدَّامَ رَبِّ رَبِّ

تَمَنَّى أَنْ يَرَى لَيْلَى بِجَمْعٍ
فَلَمَّا أَنْ رَأَاهَا خَوَّلَتْهُ
إِذَا سَمِعَ الزَّمَانَ بِهَا وَضُنَّتْ
وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عَمَّ النَّبِيَّ (ﷺ):
يَسْكُنُ قَلْبَهُ مِمَّا يَعَانِي
بِعَادًا فَتَّ فِي عَضْدِ الْأَمَانِي
عَلِيٍّ فَأَيُّ ذَنْبٍ لِلزَّمَانِ؟

وليلة جمع والمنازل من منى
وجمع إذا ما المقربات أجزنه
وجمع هي المزدلفة سميت لاجتماع الحجاج فيها عند الإفاضة من عرفة،
وبها المشعر الحرام، ومن قال: هي قزح فقد وهم. يصلي الحجاج بجمع صلاة
المغرب والعشاء جمع تأخير، ثم يبيت بها - على أغلب المذاهب - فيصلي الصبح
ويدفع إلى منى.

وكانت العرب لا تدفع إلا بمجيز يدفع بها من جمع. فكانت الإجازة
لخزاعة، ثم صارت لعدوان، وكان من عدوان أبو سيارة أحد بني سعد بن وابل
بن زيد بن عدوان، فقال أحدهم (٢٢):

نحن دفعنا عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالمًا حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

وكان أبو سياره يدفع بالناس على أتان (٢٣).



وفزارة من غَطَفَان، ولا أدري كيف كانوا موالي لأبي سيارة؟ ولم أر من
علل ذلك.

وكان أبو سيارة يتقدم الحجاج صباح جمع ركباً حماراً ويخطب قائلاً:
اللهم أصلح بين نساءنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال بين سمحائنا، أوفوا
بعهدكم، وأكرموا جاركم، وأقروا ضعيفكم. ثم يقول: أشرق تبير كما نغير.
وعلى كلّ فالناس - اليوم - لا تعرف جمعاً، إنما يعرفون المزدلفة، وهم
يقولون (مزدلفة) و (مستلفة).

... يتبع

الهوامش :

- (١) ديوانه : ١٨٤ .
- (٢) ديوانه : ٣٤٨ .
- (٣) أمة الوهاب : ابنة عمر بن أبي ربيعة .
- (٤) معجم البلدان (أجياد) .
- (٥) معجم البلدان (جباد) وفي الإكليل ٢ : ٤٧ هو أبوبكر أحمد العيدي الأبيني، نسبه إلى أبيين - وفي العقد الثمين ٨ : ٩ ذيل: اختلف في نسبه، ف قيل: العيدي، والعيدي، والعَيْدِي. والصَّواب: العيدي؛ بالياء قبل الدال المهملة، وأبين مقاطعة يمنية قرب مدينة عدن.
- (٦) ديوانه : ٥٦٣ .
- (٧) معجم البلدان (الأخشبان) .
- (٨) في الديوان : جلاء العين مني بل قذاها .
- (٩) أخبار مكة ، ٢ : ٢٢٢ .
- (١٠) لعله تصحيف الخطم .
- (١١) معجم ما استعجم (البطحاء) .
- (١٢) معجم معالم الحجاز ١ : ٢٥٠ .
- (١٣) المصدر نفسه .
- (١٤) معجم البلدان (ثبير) .
- (١٥) معجم البلدان (أثيرة) .
- (١٦) أنظر معجم معالم مكة التاريخية والأثرية .
- (١٧) معجم البلدان (ثور) والسيره «لامية أبي طالب» .
- (١٨) إن يكون صدر الدابة يميل إلى الحمرة ، وهو لون مميز .
- (١٩) ديوانه : ١٧ .
- (٢٠) معجم البلدان (جعرانة) .
- (٢١) معجم البلدان (جمع) .
- (٢٢) شفاء الغرام ، ٢ : ٣٢ .
- (٢٣) الأتان : أنثى الحمار .